

بدر ساكر السياب

شنا شيل ابنة الحلي

منشورات دار الطليعة - بيروت

مكتبة
الادب
الساكن
العاصم



بدر شاكر السياب

شَناشِيلُ ابْنَةِ الْحَلَبِيِّ

مَنْشُورَاتُ دَارِ الْقَلْبِ لِمَعَّة - بَيْفُوت

شنا شیل اینتہ الحابی

الطبعة الأولى
كانون الثاني ، ١٩٦٥

سِينَا سِيلَ إِبْنَةِ الْحَمَلِيِّ

وأذكرُ من شتاء القريةِ النَّضَّاحِ فيه النُّورُ
من خَلَلِ السَّحَابِ كَأَنَّهُ النَّعْمُ
تسربَّ من ثقوب المعزف - ارتعشت له الظُّلُمُ
وقد غنَّى - صباحاً قبلَ ... فيم أعدُّ؟ طفلاً كنتُ أبتسمُ
للَيْلِي أو نهاري أثقلتُ أغصانه النشوى عيونُ الحورِ .
وكنّا - جدّاً الهدّار يضحك أو يغنِّي في ظلال الجوسق القصَبِ
وفلاحيه ينتظرون : « غَيْشَكَ يَا إِلَهَ » وإخواتي في غابة اللَّعِيبِ
يصيدون الأرانبَ والفراشَ ، و(أحمدَ) النَّاطور -
نحْدُقُ في ظلال الجوسق السمراء في النَّهْرِ
ونرفعُ للسَّحَابِ عيوننا : سيسيل بالقطر .
وأرعدتِ السماءُ فرنَّ قاعِ النَّهْرِ وارتعشتُ ذرى السَّعَفِ
وأشعلهنَّ ومضُ البرقُ أزرقَ ثمَّ أخضرَ ثمَّ تنطفئُ

وَنَدَّحَتْ السَّمَاءُ لَغَيْثِهَا الْمَدَارَ بَاباً بَعْدَ بَابٍ

عاد منه النهر يضحك وهو ممتلىء

تَكَلَّلَهُ الْفَقَائِعُ ، عاد أخضر ، عاد أسمر ، غصَّ بِالْأَنْغَامِ وَاللَّهْفِ .

وَتَحْتَ النَّخْلِ حَيْثُ تَظَلُّ تَطِيرُ كُلُّ مَا سَعَفَهُ

تَرَاقَصَتِ الْفَقَائِعُ وَهِيَ تُفَجِّرُ - إِنَّهُ الرُّطْبُ

تَسَاقَطَ فِي يَدِ الْعِذْرَاءِ (٢) وَهِيَ تَهْزُ فِي لَهْفِهِ

بِجَذْعِ النَّخْلَةِ الْفُرْعَاءِ (تَاجُ وَلِيدِكِ الْأَنْوَارُ لَا الذَّهَبُ ،

سَيَصْلُبُ مِنْهُ حُبُّ الْآخَرِينَ ، سَيَبْرِيءُ الْأَعْمَى

وَيَبْعَثُ مَنْ قَرَّارَ الْقَبْرِ مَيْتاً هَذِهِ التَّعَبُ

مِنَ السَّفَرِ الطَّوِيلِ إِلَى ظِلَامِ الْمَوْتِ ، يَكْسُو عَظْمَهُ اللَّحْمُ

وَيُوقِدُ قَلْبَهُ الثَّلَاجِي فَهُوَ بِجَبِّهِ يَشُبُّ !) .

* * *

وأُبرقتِ السماءُ ... فلاح ، حيثَ تعرَّجَ النَّهْرُ ،
وطاف معلقاً من دون أُسِّ يلثمُ الماءُ
شناشيلُ ابنةِ الجليِّ نورَ حوله الزَّهرُ
(عقودُ ندىٍّ من اللَّبْلَابِ تسطعُ منه بيضاء)
وآسيةُ الجميلة كحلَّ الأحداقَ منها الوجد والسَّهرُ .

* * *

يا مطراً يا جلي
عبرِ بناتِ الجلي
يا مطراً يا شاشاً
عبرِ بناتِ الباشا^(٣)
يا مطراً من ذهبٍ .

* * *

تَقَطَّعتِ الدروب ؛ مقص هذا الهاطلِ المِدرارِ
قَطَّعها وواراها ،
وطوَّقتِ المعابرُ من جذوع النَّخلِ في الأمطارِ
كفرقى من سفينةِ سندبادَ ، كقصّةِ خضراءَ أرجأها وخلاها
الى الغديّ (أحمدُ) الناطورُ وهو يديرُ في الغُرْفِ
كؤوسَ الشاي ، يلمس بندقيّته ويسعل ثم يعبر طرفه الشرّفه
ويخترق الظلامَ .

وصاح « يا جدّي » أخي الشرُّثارُ
« أنمكت في ظلام الجوسقِ المبتلِّ ننتظرُ ؟
متى يتوقفُ المطرُ ؟ »



وأرعدتِ السماء ، فطار منها ثمة انفجرا
شناشيلُ ابنة الجلي

ثم تلوح في الأفق
ذرى قوس السحاب وحيث كان يسارق النظرا
شناشيلُ الجميلة لا تصيب العين إلا حمرة الشفق

* *

*

ثلاثون انتقضت ، وكبرتُ كم حبٍ وكم وجدٍ
توهج في فؤادي !
غير أنني كلما صفقت يدا الرعدِ
مددت الطرف أرقبُ ربما اثتلقت الشناشيلُ
فأبصرتُ ابنة الجلي مقبلةً الى وعدي !

ولم أرها . هواءٌ كلُّ أشواقِي ، أباطيلُ
ونبتٌ دوغماً ثمرٍ ولا وردُ !

لندن ٢٤ - ٢ - ١٩٦٣

-
- ١ - الشناشيل : شرفة مغلقة، مزينة بكثير من الخشب المزخرف والزجاج الملون، كان شائعاً في
البصرة وبغداد قبل مائة سنة. والجلبي لقب هو عند المصريين «شلبي» وعند الأوربيين «ماركيز».
٢ - « وهزي اليك يجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً » (سورة مريم - القرآن الكريم)
٣ - هكذا يغني الأطفال في قرى البصرة حين تمطر السماء : « مطر ، مطر ، حليبي . عبر
بنات الجلبي » النخ ..

أرم فرسخ السماء

عند المسلمين أن « شداد ابن عاد » بنى جنة
لينافس بها جنة الله ، هو « أرم » . وحين أهلك
الله قوم عاد ، اختفت « أرم » وظلت تطرب ،
وهي مستورة ، في الأرض لا يراها إنسان الا مرة
في كل أربعين عاماً . وسعيد من انفتح له بابها .

من خَلَّلِ الدُّخَانَ من سِيكَاَرِهِ ،
من خَلَّلِ الدُّخَانَ
من قَدَحِ الشَّايِ وَقَدْ نَشَّرَ ، وهو يَلْتَوِي ، إِزَارَهُ
ليُحْجِبَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ ،
حدثنا جدُّ أَبِي فَقَالَ : « يَا صَغَارُ ،
مَقَامِرًا كُنْتَ مَعَ الزَّمَانِ ؛
نَقُودِي الْأَسْمَاكُ ، لَا الْفُضَّةُ وَالنُّضَارُ ،

والورَقُ الشَّبَّاكُ والوَهَّارُ^(١) .
وكنْتُ ذاتُ لَيْلِهِ
كانما السَّمَاءُ فِيهَا صَدَأٌ وَقَارُ ،
أَصِيدُ فِي الرَّمِيلِ
فِي خُورِهَا الْعَمِيقِ ، أَسْمَعُ الْحَارِ
مُوسُوساً كَأَنَّمَا يَبُوحُ لِلْحَصَى وَلِلْقِفَارِ
بِمَوْطِنِ الْمُلُوءَةِ الْفَرِيدَةِ ،
فَارْهَفُ السَّمْعَ لِعَلِّي أَسْمَعَ الْحَوَارِ .
وَكَانَ مِنْ نَدَى الْخَرِيفِ فِي الدَّجَى بَرُودِهِ
تَدْبُ مِنْهَا رَعِشَةٌ فِي جَسَدِي فَاسْحَبُ الدُّثَارَ .
وَانْفِرْجَ الْغَيْمُ فَلَاحَتْ نَجْمَةٌ وَحِيدَهُ

١ — الوهَّار : أداة لصيد السمك تصنع من أغصان الشجر .

ذُكِرَتْ مِنْهَا نَجْمَتِي الْبَعِيدَةُ
تَنَامُ فَوْقَ سَطْحِهَا وَتَسْمَعُ الْجُرَارَ
تَنْضَحُ (يَا وَقْعَ حَوَافِرٍ عَلَى الدَّرُوبِ
فِي عَالَمِ النَّعَّاسِ ؛ ذَاكَ عَنَتْرَ يَجُوبُ
دَجَى الصَّحَارَى . إِنْ حَيَّ عِبْلَةَ الْمَزَارِ) .
فَسَرَتْ وَالسَّمَاءَ وَجِهَتِي ، وَلَا دَلِيلَ ،
أَرْقُبُ نَجْمَهَا الْوَحِيدَ ، وَالشَّعَاعَ
يَخْفَتُ أَوْ يُؤْجِ مَانِعًا وَمَانِحًا ، وَكَالشَّرَّاعِ
تَرْفَعُ أَوْ تَحْطِطُهُ الرِّيَّاحُ فِي الصَّرَّاعِ .
أَسْرَتْ أَلْفَ خَطْوَةٍ ؟ أَسْرَتْ أَلْفَ مِيلٍ ؟
لَمْ أُدْرِ إِلَّا أَنَّنِي أُمَالِنِي السَّحَرُ
إِلَى جِدَارِ قَلْعَةٍ بَيْضَاءَ مِنْ حَجَرٍ ،

كأنما الأَقَارُ منذ ألفِ ألفِ عامٍ
كانت له الطَّلَاءُ ،
كأنما النجومُ في المساءِ
سلنَ عليه ثم فاض حوله الظلام .
وسرت حول سورها الطويل
أعدُّ بالخطى مداه (مثلَ سندُبادِ)
يسيرُ حول بيضة الرُّخِّ ولا يكاد
يعود حيث ابتدأ
حتى تغيب الشمس ، غشى نورها سواد ،
حتى إذا ما رفع الطرفَ رأى ... وما رأى؟
حتى بلغت في الجدار موضعَ العباد
تقوم فيه ، كالدجى ، بوابة رهيبة

غَلَفَهَا الْحَدِيدُ ، مَدَّ حَوْثَهَا نَحْبِيه
أَرَاهُ بِالْعَيُونِ لَا تُحْسُهُ الْمَسَامِعُ .
وَقَفْتُ عِنْدَهَا أَدَقُ .
يَا صَدَىَّ أَرَا جَعُ

أَنْتِ مِنْ الْمَقَابِرِ الْغَرِيبَةِ ؟
أُحْسُ فِي الصَّدَى
بِرُودَةِ الرَّدَى ،
أَشْمُ فِيهِ عَفْنََ الزَّمَانِ وَالْعَوَالِمِ الْعَجِيبَةِ
مَنْ أَرَمَ وَعَادَ .
وَحِينَ كُلِّ سَاعِدِي
وَمَلَّنِي الْوُقُوفُ فِي الظَّلَامِ
(كُنَاسِكِ ، كَعَابِدِ

يرفضهُ الإلهُ في معبده ، يظلُّ لا ينام
ولا يريدُ الماءَ والطعامَ ،

يصيحُ : « كن على الهوى مساعدي
يا رافعَ السَّماءِ ، يا موزِّعَ الغمامِ » .
جلستُ عند بابها كسائلٍ ذليلٍ
جلستُ أسمعُ الصدى ، كأنه العويلُ ،
يلهثُ خلفَ حائطٍ من حَجَرٍ ثَقِيلٍ .
كانَ بينَ دَقَّةٍ ودَقَّةٍ يمرُّ ألفُ عامٍ
وما أجابَ العَدَمُ الجَوَّاءَ .

وحينَ أوشكُ الصِّباحُ يهْمسُ الضياءُ
نعستُ ، ننتُ ... واستفقتُ : مرَّ ألفُ جيلٍ !!
الشمسُ والفِلاهِ

والغيمُ والسَّماءُ
وكلُّ ما أراه
هناك حيث كان سورُها ، المياه
تَشعُّ في الخَلِيجِ .
وقال جدنا ولج في النَّشِيجِ :
« ولن أراها بعد ، إنَّ عمريَ انقضى
وليس يرجع الزمانُ ما مضى .
سوف أراها فيكم ، فأنتم الأريجُ
بعد ذبول زهرتي . فإن رأى أرمُ
واحدُكم فليطرق البابَ ولا ينم .
أرمُ ...
في خاطري من ذكرها أَلَمْ ،

‘حلمُ صباي ضاعَ ... آهِ ضاع حينَ تمَّ
وعمرِي انتقضى ‘ .

لندن ٢١ -- ٢ -- ٦٣



فِي اللَّيْلِ

الْغُرْفَةُ مُوصَدَّةُ الْبَابِ
وَالصَّمْتُ عَمِيقُ
وَسَتَائِرُ شَبَّابِي مَرْخَاةٌ .

رَبِّ طَرِيقِ

يَتَنَصَّتُ لِي ، يَتَرَصَّدُنِي خَلْفَ الشَّبَّابِ . وَأَثْوَابِي
كَمَفْزَعٍ بِسْتَانٍ ، سَوْدُ
أَعْطَاهَا الْبَابُ الْمُرْصُودُ
نَفْسًا ، ذَرْبًا بِهَا حَسًّا ، فَتَكَادُ تَفِيقُ
مِنْ ذَاكَ الْمَوْتِ ، وَتَهْمِسُ بِي ، وَالصَّمْتُ عَمِيقُ ، :
« لَمْ يَبْقَ صَدِيقُ

لِيَزُورَكَ فِي اللَّيْلِ الْكَابِي
وَالْغُرْفَةُ مُوصَدَّةُ الْبَابِ . »

ولبستُ ثيابي في الوهم
وسريتُ : ستلقاني أمي
في تلك المقبرة الشكلي ،
ستقول : « أتقتحم الليل

من دون رفيق ؟
جوعان ؟ أأأكلُ من زادي :
خروبِ المقبرة الصادي ؟
والماءُ ستنهله نهلا
من صدر الأرض .

ألا ترمي
أثوابك ؟ والبس من كفني ،
لم يبيلَ على مر الزمن ؛

عز ريلُ الحائِكُ ، إذْ يبلى ،
يرفوه . تعالِ ونَمْ عندي :
أعددتُ فراشاً في لحدي
لكَ يا أغلى من أشواقِي
للشمس ، لأمواهِ النَّهرِ
كسلى تجري ،
لهُتافِ الديكِ إذا دوى في الآفاقِ
في يومِ الحشرِ .
سأخذُ دربي في الوهمِ
وأسير فتلقاني أمي .

لندن ٢٧ - ٢ - ١٩٦٣

في انتظار ربي الله

وذكرتها ، فبكيتُ من ألمي :
كلما يصعدُ من قرار الأرض ، نزَّ إلى العيون دمي
وتحرَّقت قطراته المتلاحقات لتستحيلَ الى دموع
يخنقُنني فاصكُ أسناني ، لتنقذَ الضلوع
موجاً تحطّم فوقهنَّ وذابَ في العدم .

دخانٌ من القلب يصعدُ
ضبابٌ من الروح يصعد
دخان ... ضباب
وأنتِ الخُطافُ وراء البحار ، وأنتِ انتحاب
ونوحٌ من القلب كالدُّ يصعد
ودمعٌ تجمدُ

وغصت به الآه في الحنجره .
ذكرتك يا كلّ روعي ويادفء قلبي اذ الليل يبرد .
ويا روضةً تحت ضوء النجوم بقداحها مزهره .

وذكرتُ كلتنا يهفُّ بها ويسبحُ في مداها
قمرٌ تحيرَ كالفراشة ، والنجوم على النجوم
دندنٌ كالأجراس فيها ، كالزنابق إذ تعوم
على المياه ... وفضض القمر المياه .
وكان جسمك زورق الحب الحمل الطيوب
والدفء ، والمجداف همس في المياه يرت آها
فأها والنعاس يسيل منك على الجنوب
فينام فيه النخل تلتمع السطوح بنومهن الى الصباح .

أولاً ، ما أحلاك ! نام النورُ فيكَ ومنتَ فيه ،
واللَّيْلُ ماءٌ ، والنباحُ
مثل الحصى ينداح فيه ، وأنتِ أولُ وارديه .

هو الصَّيْفُ يلثمُ شطَّ العراقِ
بغيماته ذاب فيها القَمَرُ ،
وتوشيكُ تسبحُ بيضُ النجومِ لولا برودةُ ماءِ النَّهْرِ
وهفَّ شراعٌ لأضلاعه في الهواءِ اصطفاقُ ،
وغنَّى مغنٍ وراء النّخيلِ
يغمغمُ : « يا ليلُ ، طال السَّهرُ
وطال الفراق ! »
كانَ جميعَ قلوبِ العراقِ

تُنَادِي ، تَرِيدُ أَنْهَارَ الْمَطَرِ .

وَصَعِدَتْ نُحُوكِ وَالنُّعَاسُ رِيَّاحُ فَاتَرَاتُ تُحْمَلُ الْوَرَقَا
تَمَسَّ شَعْرُكَ وَالنَّهْودَ بِهِ ، تَمُوتُ

حِينًا وَتَلْهَثُ فِي النُّوَافِذِ مِنْ بِيُوتِ
تَقَاكِ فِي غُرْفَاتِهَا ، وَأَشَدُّ جِسْمُكَ فَارًا وَاحْتِرَقًا .

إِنِّي أُرِيدُكَ ، أَشْتَهِيكَ أَمْسَ ثَغْرُكَ فِي رِسَالِهِ
طَالَ انْتِظَارِي وَهِيَ لَا تَأْتِي ، وَتَحْتَرِقُ الزُّوَارِقُ وَالتَّخَوْتُ
فِي ضِفَّةِ الْعِشَارِ تَنْفُضُ ، وَهِيَ لَاهُتَةٌ ، ظِلَالُهُ

عَلَّ الرِّيَّاحُ حَمَلَنَ مِنْكَ لَهَا رِسَالَهُ .

لَمْ تَبْخَلِينَ عَلَيَّ بِالْوَرَقَاتِ ، بِالْحَبْرِ الْقَلِيلِ وَسَحْبَةِ الْقَلَمِ الصَّمُوتِ ؟

إِنِّي أَذُوبُ هَوًى ، أَمُوتُ

وَأَحْنُ مِنْكَ إِلَى رِسَالِهِ .

لندن ٩ - ٣ - ١٩٦٣

البابُ تَقَرُّعُهُ الرِّيحُ

البابُ ما قرعته غيرُ الرِّيحِ في اللَّيْلِ العميقِ ،
البابُ ما قرعته كفك .

أين كفك والطَّرِيقُ
نا ؟ - بحارُ بيننا ، مَدُنُ ، صحارى من ظلامِ
الرياح تحملُ لي صدى القُبُلَاتِ منها كالحرِّيقِ
من نخلةٍ يعدو إلى أُخْرَى ويزهر في الغمامِ .

* *

*

الباب ما قرعته غيرُ الرِّيحِ ...
آه لعلَّ روحاً في الرياحِ
هامت تمرُّ على المرافىء أو محطات القطارِ
لتُسأَلَ الغرباءَ عني ، عن غريبٍ أمسٍ - راح

نِشِي عَلَى قَدَمِينَ ، وَهُوَ الْيَوْمُ يَزْحَفُ فِي انْكَسَار .
هِيَ رُوحُ أُمِّي هَزَّهَا الْحُبُّ الْعَمِيقُ ،
حُبُّ الْأُمُومَةِ فَهِيَ تَبْكِي :

« آه يَا وَلَدِي الْبَعِيدَ عَنِ الدِّيَارِ !

وَيْلَاهُ ! كَيْفَ تَعُودُ وَحْدَكَ ، لَا دَلِيلَ وَلَا رَفِيقَ ؟ »

أُمَّاهُ .. لَيْتَكَ لَمْ تَغِيْبِي خَلْفَ سُورٍ مِنْ حِجَارٍ

لَا بَابَ فِيهِ لَكِي أَدَقُّ وَلَا نَوَافِذَ فِي الْجِدَارِ !

كَيْفَ انْطَلَقْتُ عَلَى طَرِيقٍ لَا يَعُودُ السَّائِرُونَ

مِنْ ظِلْمَةٍ صَفْرَاءَ فِيهِ كَأَنَّهَا غَسَقُ الْبَحَارِ ؟

كَيْفَ انْطَلَقْتُ بِلَا وَدَاعٍ فَالْصَّغَارُ يُولُولُونَ ،

يَتَرَاكُضُونَ عَلَى الطَّرِيقِ وَيَفْزَعُونَ فَيَرْجِعُونَ

وَيُسَائِلُونَ اللَّيْلَ عَنْكَ وَهُمْ لِعُودِكَ فِي انْتِظَارِ ؟

الباب تقررعه الرياح لعل روحاً منك زار
هذا الغريب !! هو ابنك السهران يحرقه الحنين .
أمّا أهّ لئيتك ترجعين
شَبَحاً . وكيف أخافُ منه وما امّحت رُغمَ السنين
قَسَمَاتُ وَجْهِكَ من خيالي ؟
أين أنتِ ؟ أسمعين
صَرَخَاتِ قلبي وهو يذبحه الحنينُ إلى العراق ؟

* *

*

الباب تقررعه الرياح تهبُّ من أبَدِ الفراق .

لندن ١٣ - ٣ - ٦٣

مِنْ لِيَاكِي السُّهَّارِ

١- لَيْلَةٌ فِي لَنْدُنْ

كَيْ يَنْسِلُ نُورٌ خَائِفٌ مِنْ فُرْجَةِ الْبَابِ
بِالْظُّلْمَاءِ فِي غُرْفِهِ
سَمِعْتُ هَتَافَهُ الْمَجْرُوحَ يَعْبُرُ نَحْوِي الشَّرْفَةَ
يَرْفَعُ مِنْ سَمَاوَةِ لَنْدُنِ اللَّيْلَ الْمَطِيلَ بِلَوْنِهِ الْكَأَبِيِّ
عَلَى الطَّرِيقَاتِ تَرْقُدُ فِي دُثَارِ الثَّلَجِ مَلْتَفَةً .
وَأَمْسٍ سَمِعْتُ فِي إِيْرَانٍ صَوْتَ الدِّيكِ فِي الْفَجْرِ ،
وَمِنْ أَفْئُقِ الْمَنَائِرِ فِي الْكُوَيْتِ وَزُرْقَةِ الْبَحْرِ
هَابَ ، فَرَشَ جَفْنِي بِالنُّعَاسِ (رَنِينَ أَكْوَابِ
بَاءِ الْبَصْرِ الرَّقْراقِ تُمْلَأُ ثُمَّ تَسْقِينِي) ،
نَدَاءُ رَاحٍ يَنْثَرُهُ الْمُؤَذِّنُ .. : أَطْفِئِ الْفَانُوسَ ، رَفِّضْ ضِيَاؤَهُ رَفِّهِ
وَبَعَثْهُ الظُّلَامَ .
وَلَيْلِي الْآوَاهُ فِي بَيْرُوتَ يُحْيِينِي

لأُبصرَ فيه وجهَ الموت ، راح يُذيبُه نبعٌ من اللّهُفه
تدفّقَ من فؤاد البُلْبُلِ المسكوبِ بينَ غصونِ كَبْلَابِ
ليالٍ من عذابٍ ، من سقامٍ ، لستُ أنساها :
غريباً كنتُ حتّى حينِ أحلمُ ، لستُ في جيُكُورِ
ولا بغداد ، أمشي في صحارى قلبي المسعور
يُرِيدُ الماءَ فيها : « ماءٌ ... أين الماء ؟ » وهي تُريه أفواها
على آفاقها الرّبداءِ ظمأى تشرب الدّيجُور
فلا تروى . أأقضي العُمُرَ في صحراء ، في ليلٍ من العَطَشِ ؟
أفتشُ عن عيونِ الماء ، عن إشراقة الغَبَشِ ؟
كأعمى نال منه السُّكْرُ صاح ، ورُفِرتُ كَفَاهُ بين مساند الماخور
ليبحثَ عن رفيقٍ : « أين جاري ؟ أين داري ؟ أين - أوّاها -
أميرتي التي كانت تناولني كؤوسَ النور

فَيَبْصُرُ قَلْبِي الدُّنْيَا وَيَلْقَاهَا ؟ »

كَأَنَّ الصُّبْحَ أَشْرَقَ فِي الْعِرَاقِ ، وَتَعْبَرُ الرُّؤْيَا
بِحَارِ آبِي وَتَطْوِي أَلْفَ دَرَجٍ فِي الدَّجَى تَاهَا :
تَرَاجَعَ عَالَمٌ وَأُطْلِيَ ثَانٍ : عَالَمٌ يَحْيَا
عَلَى الْأَقْمَارِ تَوَلَّدُ ثُمَّ تَكْمَلُ ثُمَّ تَنْدَثِرُ ،
وَمَا لِبَسِ الْجَدِيدَ بَغَيْرِ يَوْمِ الْعِيدِ ، يَدَّخِرُ
وَيَجْمَعُ ثُمَّ يَنْفَقُ ثُمَّ يَضْحَكُ وَهُوَ يَفْتَخِرُ
بِأَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ حِينَ يَرْزُقُ ... هَكَذَا الدُّنْيَا
شَتَاءٌ ثُمَّ صَيْفٌ . لَيْسَ فِي جَيْكُورٍ مُحْتَكِرٍ
وَلَا فِيهَا مَصَارِفُ أَوْ جَرَائِدُ : « لَيْلُ كُورِيَا
يَرَى شَفَقًا مِنَ النِّيرَانِ » .

فالنيران فيها حين تستعرُ
تضيءُ لحي الشيوخ يحدثونَ ، وأعينَ النسوة
تحدقُ في الطعام وترقب الأطفال في نشوه .
أعدني يا إله الشرق والصحراء والنخل
إلى أيامي الحلوه ،
إلى داري ، إلى غيلان أئتمه ، إلى أهلي !

لندن ٣ - ٢ - ١٩٦٣

٢- ليلة في باريس

وذهبتِ فأنسحب الضياء ،
حسستُ بالليل الشتائي الحزين ، وبالبيكاء
ينثال كالشلال من أفقٍ تحطّمه الغيوم .
حسستُ وخزَّ الليل في باريس ، واختنقَ الهواء
بالقهقهات من البغايا ... آه ! ترتعش النجوم
منها كبثور الثريات الملطّخ بالدماء
في حانةٍ لمدى السكارى في جوانبها انتضاء .
ما يبقَ منك سوى عير
يبكي و غيرُ صدى الوداع : « إلى اللقاء ! » .
وتركت لي شفقاً من الزهرات جمّعها إناء
كالأنجم الزرقاء والحمراء في أفقٍ به حلم الصغير ،
رجعت لي عمر الطفولة : يا محاراً في غدِير

تتقارع الأقداحُ فيه ، ترنُّ أجراسُ كُثَّارٍ :
خوخ وأعناب ورمَّان ... وتمتلىءُ الجرار
عند الغروب ؛ هو الخريف ونحن نَسُمر حول نار .
وكمستفيقٍ في العراء
من حُلْمه : هو شَهْرَ يار وتلمس الكفُّ الخواء
ذهبَ التُّرابِ ... ورنَّ في اللَّيْلِ النُّباحُ أو العواء ،
عانقتُ كَفَّكَ باليدينِ : « إلى اللقاء »
- « إلى اللقاء » !
وذهبتِ فانسحبَ الضياء .

لو صحَّ وعدُّكَ يا صديقه ،
لو صحَّ وعدُّكَ .. آمٍ لانبعثتُ وفيقه

من قبرها ، ولعاد عمري في السنين إلى الورا .
تأتين أنتِ إلى العراقِ ؟

أمد من قلبي طريقه
فامشي عليه . كأننا هبطت عليه من السماء
عشتار فانفجر الربيع لها وبرعت الغصون :
توت ودفلى والنخيل بطلعه عقب الهواء ،
وهو الأصيل وتلك دجلة
والنواقي الخفاف يرددون :

« يا ليتني نجمُ الصباحِ
آهٍ لَأَسْقَطَ يا حبيبي ، إذ تنام ، على الغطاء ،
أعتلُّ بالبرد : ارتجفتُ فلفني ، بردَ الهواء ! »
وهو الأصيل وأنتِ في جيکورَ تحتذب الرياحُ

منك العباءة ، فاخليها ...

ليس يدثر الضياء !

يتماوج البَلَمُ^(١) النخيلُ بنا ، فتنتثرُ النجوم
من رقة المجذاف كالأسماك تغطس أو تعوم ،
ويحار بين الضفتين بنا كأننا منه في أبد الزمان :
زمن ولا ماضٍ يعود له ، ولا غدٌ كي يسيرَ
إليه . تنطفئُ النجومُ ونحن نحنُ العاشقان .

وذهبتِ فانسحب الضياء ،

لم يبق منك سوى عبير

يبكي وغير صدى الوداع : « إلى اللقاء ! »

وتركت لي شفقاً من الزهرات جمعاً إناء ...

باريس ١٨ - ٣ - ٦٣

١ - البلم : زورق البصرة ذو الشكل الشبيه ، إلى حد ما ، بجندول (البندقية) .

٣- لَيْلَةٌ فِي الْعِرَاقِ

وَهَبَ كُلُّ أَلْوَحِ الزُّجَاجِ الزُّرْقَ فِي الظُّلُمَاءِ
فَنُورٌ غُرْفَتِي ، إِيْمَاضُ بَرْقٍ ثُمَّ رَشٌّ مَدَارِجَ الْأُفُقِ
نُتَارٌ مِنْ حَطَامِ الرَّعْدِ فَارْتَعَشَتْ لَهُ الْأَصْدَاءُ .
وَحَفٌّ ، عَلَى الدَّجَى ، غَابٌ مِنَ الْأَمْطَارِ وَالْأَزْهَارِ وَالْوَرَقِ ،
وَكُنْتُ أَصِيحُ مِنْ أَرْقِي
وَمِنْ مَرْضِي : « أُرِيدُ الْمَاءَ ! »
وَتُخْنِقُ صَوْتِي الظُّمَأْنَ وَهُوَ هُةُ الدَّجَى وَالْمَاءِ .
وَيُعْبُولُ مِنْ بَعِيدٍ بَوَقُ سَيَّارِهِ
يُجِيءُ إِلَيَّ عَمْرَ الْمَاءِ فِي الْحَارَةِ ،
يُجِيءُ إِلَيَّ مِنْ أَعْمَاقِ بَحْرِ شَمْسِهِ الْخَضْرَاءِ
تَنْثٌ عَلَى شِرَاعِ السَّنْدَبَادِ أَزَاهِرَ الشَّفَقِ .
وَكُنْتُ أَصِيحُ مِنْ أَرْقِي

ومن رضي : « أريد الماء ! » .
كأنني وسط هذا الكون حيث يسوطني العطش
نواة حولها ارتجف العصير الحلو في ثمره
ويحرقها صداها .

وانتظرت : سيغسل الغبش
صداي ، يحيلني شجره
تمص الماء ، يقرع في مداها النسغ

* *

*

وألقى البرق ، أرقص ، ظل نافذتي على الغرفة
فذكّرني بماضٍ من حياتي كله أ لم :
طفولتي الشقية ، والصبي ، وشبابي المفجوع تضطرم

مِثْ عَرِي الْبَرِيَّةِ فِيهِ : كَيْفَ يَجُوعُ آلَافٌ مِنْ الْأَطْفَالِ مِلْتَفَةً
آلَافِ الْخُرُوقِ تَعْرِبِدُ الرِّيحُ الشَّتَائِيَّةَ
بِـ وَأُظِلُّ أَحْلَمُ بِالْهُوَى ، وَالشُّطُّ وَالْقَمَرُ ؟
وَتَرْحَمُ كُلَّ دَرْبٍ مِنْ دُرُوبِي هَذِهِ الْخَوْذُ الْحَدِيدِيَّةَ
وَتَتَبْعُنِي عَيُونَ الْمَوْتِ مِنْ زُمْرِ الْبِنَادِقِ تَزُّ بِالْشَّرَرِ
كُوَاهَا ... فِي دُرُوبِ الْجُوعِ أَلْهَتْ زَائِغَ النَّظَرِ .
وَإِذَا يَتَمَرَّدُ الْإِنْسَانُ فِيَّ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ
ثُورٍ عَلَى الشِّيْوعِيَّةِ .
وَلَكِنْ الْبِنَادِقُ مَا تَزَالُ عَيُونُهَا الْغَضْبَى
تَطَارِدُنِي لِأَنِّي غَيْرَ رَبِّي وَحْدَهُ ، لَمْ أَتَّخِذْ رَبًّا .

* *

*

وحين تنفست عند انحسار الليل عُشتار
تنفضُ جرحَ تموزَ المدمى ، تغسل التُّربا
عن الجنبات منه ، وحين هدَّ البغي ثوَّارُ ،
أرحتُ جبيبيَ المحموم
على شبَّاك داري أرقب الدُّربا
تدقُّ بالحبال وبالعصيَّ يشدها العار
لتسحبَ أو تمزِّقَ جسمَ طفلٍ ثغره المحروم
من القبلات والغنوات والزاد
ينادي دون صوتٍ :

« آه يا أمي ! عرفتُ الجوع والآلام والرُّعبا
ولم أعرف من الدنيا سوى أيام أعياد
فتحتُ العين فيها من رقادي لم أجد ثوبا

جديداً أو نقوداً لامعاتٍ تملأ الجيباً
فإنَّ أبي فقيراً كان .

يا لكِ ثورةً تتأكلُ القلباً
فصرخ . « أيتها الجبناء كفّوا ! »

ثم تزحم دربي الخوذ الحديدية
وتخنقُ من فم التنّور في داري

فألهث في دروب الجوع أطحن من حصاها ثم أعجنه

وأقذفه إلى النارِ

لأطعمَ منه زُغباً يطلبون الزّاد في قرّ العشيّات الشتائية .

* *

*

ويعضي بالأسى عامان ، ثمَّ يهدّني الدّاء ...

تلاقفني الأسرّة بين مستشفى ومستشفى
ويعلمكني الحديد .

ومن دمي ملأ الأطباء
قناني ؛ وزّعوني في القناني : تصبغ الصيفا
دمائي والشتاء .

وذا صُبح قيل إن الشرّ قد دُحرا
ودكّ معاقل الطّاغوت في بغدادَ أبطالُ
فقلتُ : سأوقدُ القمر
سراجاً عند بابي . إِنَّه ظفّري ! أما قالوا
بأنّ الشرّ قد دُحرا ؟

* *

*

وعدتُ الى بلادي . يا لنقالاتِ إسعافِ
حملن جنازتي !! متمدداً فيها أئن رأيتُ (غيلانا)
يحدّق ، بانتظاري ، في السّماء وغيّمها السّافي .
وما هو غير أسبوعين ممتلئين أحزانا
ويفجأني النّذير بأنّ أعواماً من الحرمان والفاقة
ترصدني هنا ، في غابة الخوذ الحديدية

* *

*

غريقٌ في عباب الموج تنحبُّ عنده الغاقة^(١)
تئنّ الريح في سعف النخيل ، عليه .. ترثيه .

١ - الغاقة ؛ النورس ، طائر بحري .

قصائده الحزينة بين أوراقٍ من الدفلى أو الصفصاف تبكيه !

البصرة ٨ - ٤ - ١٩٦٣

خَلَّةُ الْبَيْتِ

خَلَا الْبَيْتُ ، لَا خَفَقَةَ مِنْ نَعَالٍ
وَلَا كُرُكَرَاتٍ عَلَى السُّلَمِ ،
وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ رِيحُ الشَّمَالِ
وَمَاتَتْ عَلَى كَرَمِهِ الْمَظْلَمُ :
تَلَا شَتْ خُطَى مَوَكِبِ الدَّافِنِينَ
وَمِنْ مَسْجِدِ الْقَرْيَةِ الْمُعْتَمِ
تَوَيَّ ، كَمَا رَفَّ فَوْقَ السَّفِينِ
شَرَاخُ حَزِينٍ ،
ذَانِ (هُوَ اللَّهُ بَاقٍ ، وَزَالِ
عَنِ الْأَرْضِ إِلَّا هُ) : اللَّهُ أَكْبَرُ ،
وَفِي قَبْرِهِ اهْتَزَّ ، كَالْبَرْعِ
ذَا الصَّبْحِ نَوَّرَ ،

دفين ... وأصغى : أنينُ الرمال
وتهويدهُ النَّخلُ ينعسُ واللَّيْلُ أقمر .
وفي بيته الآن - خلَّ العويلُ
ونوحَ اليتامى وندبَ النساءِ -
لقد فتَحَ الآنُ زهُرُ الشتاءِ
ليملأَ تنوره بالشذى والضياء ،
أنارَ وجوهاً وأخفى وجوهاً ، فسال الأصيل
ينث سنبله الدافئه ،
وسمراء تصغي إلى الشاي فوق الصَّلاءِ
يوسوس عن خيمةٍ في العراءِ
وعن عيشةٍ هانئه .

*

خِلاَ الْبَيْتِ وَانْسَلَّ لَوْنُ الْمَغِيبِ
فِي الْمَخْدَعِ الْمَقْفَرِ ؛
هَذَا كَانَ يَطْوِي خِيوطَ الدُّرُوبِ
صَغِيرَانَ تَطْفِئُ شَمْسُ الْغُرُوبِ
بِشَعْرِيهَا نَارَ فَاوَسِهَا الْأَحْمَرُ ؛
ذَا مَا ارْتَحَتْ تَحْتَ ظِلِّ الْمَجِيرِ
جَفُونَ يُرْنَقُ فِيهَا النَّعَاسُ
فَاءً إِلَى قِصَّةٍ عَنْ أَمِيرٍ
تَخَطَّفَهُ الْجَنُّ حَتَّى أَتَى مَنْزِلًا مِنْ نُحَاسٍ
تَلَامَحَ شَبَاكَهُ عَنْ أَمِيرِهِ
تَدَلَّى إِلَيْهِ الضَّفِيرُ
لِيَرَقِيَ إِلَيْهَا .

خلا البيت إلا أنينُ يابقا
يصعدُها شاطئٌ من حنين .

البصرة ٢٦ - ٧ - ١٩٦٤

جيكور وأشجار المدينة

أشجارها دائمة الخضرة
كأنها أعمدة من رخام
لا أعري يعرفوها ولا صفه ،
وليلها لا ينام
يطلع من أقداحه فجره .

لكن في جيكور
للصيف ألواناً كاللشتاء ،
وتغرب الشمس كأن السماء
حقل يمص الماء ،
أزهاره السكرى غناء الطيور .
ناحلة كالصدي

أنغامه البلور ،
كأنَّ فيها مَدَى
يَجْرُ حنَّ قلبي فيستنزِفُ منهُ النور .
وتغرب الشمس وهذا المساء
أمطر في جيكور ...
أمطر ظلاً ، نثَّ صمتاً - مساء
غافٍ على جيكور .

واللَّيْلُ في جيكور
تهمس فيه النجوم
أنغامها ، تولد فيه الزهور
وتخفق الأجنحه

في أعين الأطفال ، في عالمٍ للنَّومِ - مرّت غيوم
بالدرب مبيضاً بنور القمر ،
تكاد أن تمسحه ،
تسرق منه الزَّهَرُ ...

البصرة ٢٢ - ٤ - ١٩٦٣

ها.. ها.. هو

تأبين أنت الآن والليل مقمر
أغانيه أنسام وراعيه مزهر ،
وفي عالم الاحلام ، من كل دوحه
تلقاك معبر
وباب غفا بين الشجيرات أخضر .
لقد أثر الصمت (الذي كان يشمر
مع الصبح بالبوقات أو نوح بائع) ،
بتين من الذكرى وكرم يقطر
على كل شارع
فيحسو ويسكر
برفق فلا يهذي ولا يتنمر .

*

رَبِّتُ الَّذِي لَوْ صَدَقَ الْحُلْمُ نَفْسَهُ
مَلَكًا لَكَ الْفَمَا

وَضَوْقُ خَصْرٍ أَمْنِكَ وَاحْتَازَ مَعْصَمًا؟
تَقْدَرُ كُنْتَ شَمْسَهُ

وَشَاءَ احْتِرَاقًا فِيكَ ، فَالْقَلْبُ يُصْهَرُ
فِيَبْدُو ، عَلَى خَدَّيْكَ وَالثَّغْرِ ، أَحْمَرُ
وَفِي لَهْفٍ يَحْسُو وَيَحْسُو فَيَسْكُرُ .

*

لَقَدْ سُمِّ الشُّعْرَ الَّذِي كَانَ يَكْتُبُ
كَامِلًا أَعْمَاقَ السَّمَاءِ الْمَذْنَبُ
فَأَدْمَى وَأَدْمَى :

حرّوب وطوفان ، بيوت تدمرُ
وما كان فيها من حياةٍ تصدّعا .
لقد سئم الشّعْرَ الذي ليس يذكرُ
فأغلقَ للأوزان باباً وراءه
ولاح له بابٌ من الآسِ أخضر
أراد دخولا منه في عالم الكرى
ليصطاد حلماً بين عينيك يخطر
وهيهات يقدر !

* *

*

من النَّفْسِ ، من ظلماتها ، راح ينبعُ
وينثال نهرٌ سال فأنخل مئزر

من النُّور عن وَّضَاءَ تَحْبُو وتظهر .
وفي الضَّفَّة الأخرى تحسِّن صوته
فما كان يُسمَعُ
كما يشعر الأعمى إذِ النور يظهر ،
يناديكِ :

« ها .. ها .. هوه »

ماءٌ ويقطر

من السَّعْفَةِ النَّشْوَى
بما شربتُ من غَيْمَةٍ نَشْأَها نَجْوَى
وأصداء أقدامٍ إلى الله تعبر .

* *
*

ونديتِ : « ها .. ها .. هوه » لم ينشرِ الصدى
جناحيه أويبكِ الهواء المثرثرُ .
ونادي ورددا :
« ها .. ها .. هوه ! »
وفتحتِ جفناً وهو ما زال ينظر ،
ينادي ويجار .

لندن ٢٩ - ٢ - ١٩٦٣

أحببني .. !

وما من عادي نكرانٍ ماضيٍّ الذي كانا ،
ولكن .. كل من أحببتُ قبلك ما أحبوني
ولا عطفوا عليّ ؛ عشقتُ سبعاً كنّ أحيانا
تُرفُّ شعورهنّ عليّ ، تحملني إلى الصينِ
سُفائنٌ من عطورٍ نهودهنٍ ، أغوص في بحرٍ من الأوهام والوجدِ
وتتقطُّ الحار أظن فيه الدرّ ، ثم تظلني وحدي
جدائلُ نخلةٍ فرعاء
وبحث بين أكوام الحار ، لعلّ لؤلؤةً ستبرغ منه كالنجمه ،
ويذ تدمي يداي وتُنزع الأظفار عنها ، لا ينزُّ هناك غيرُ الماء
وغير الطين من صَدَفِ الحار ، فتقطرُ البسمه
عني تُغري دموعاً من قرار القلب تنبثق ،
مُنَّ جميع من أحببتُ قبلك ما أحبوني .

وأجلسهنَّ في شُرَف الخيال .. وتكشف الحرق
ظلالاً عن ملاحظهنَّ : آمِ فتلك باعتنني بمافونِ
لأجل المال ، ثم صحا فطلّقها وخلاها .
وتلك .. لأنها في العمر أكبرُ أم لأنَّ الحُسْنَ أغراها
بأنني غير كفءٍ ، خلّفتني كلّما شرب الندى ورَقُ
وفتح برعمٍ مثّلتها وشمّت رِيّاها ؟
وأمس رأيتها في موقفٍ للباس تنتظرُ
فباعدت الخطى ونابت عنها ؛ لا أريد القربَ منها ،

هذه الشمطاء

لها الويلات ؟ ثم عرفتُها : أحسبت أن الحُسْنَ ينتصرُ
على زمن تحطّم سور بابلَ منه ، والعنقاء
رمادٌ منه لا يذكّيه بعث فهو يستعر ؟

وتلك كان في غمازتيها يفتح السحر
عيون الفل واللبلاب ، عافتني الى قصر وسياره ،
في زوج تغير منه حال ، فهو في الحاره
فقير يقرأ الصحف القديمة عند باب الدار في استحياء ،
يحدثها عن الأمس الذي ولي فيا كل قلبها الضجر .
وتلك وزوجها عبدا مظاهرا ليلها سهر
وخمر أو قمار ثم يوصد صباحها الإغفاء
عن النهار المكرر للشرع يرف تحت الشمس والأنداء .
وتلك ؟ وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها ،
شربت الشعر من أحداقها ونعست في أفياء
تنشرها قصائد ها علي : فكل ماضيها
وكل شبابها كان انتظارا لي على شط يوم فوقه القمر

وتنعس في حِماه الطَّيْرُ رَشُّ نَعَاسِهَا المَطَرُ
فنبهها فطارت تَمَلُّ الآفاقَ بالأصداءِ ناعسةً
تؤجُّ النورَ مرتعشاً قوادِمُها ، وتحفُّقُ في خوافيها
ظلالُ الليل . أين أُصِلُنَا الصيفي في جيکور ؟
وسار بنا يوسوس زورقُ في مائه البلور ؟
وأقرأ وهي تصغي والربى والنَّخْل والأعْناب تحلم في دواليها ؟
تفرقت الدروب بنا نسير لغير ما رَجَعَهُ ،
وغيبها ظلامُ السجن تؤنسُ ليلَها شمعه
فتذكرني وتبكي . غير أني لست أبكيها .
كفرت بأمة الصحراء
ووحى الأنبياء على تراها في مغاور مكّة أو عند واديا .
وآخرهن ؟؟

آه .. زوجتي ، قدري . أكان الداء
يتعدني كأني ميتٌ سكرانٌ لولاها ؟
وهأنا ... كل من أحببتُ قبلك ما أحببوني .
و أنتِ ؟ لعله الإشفاق !!

لستُ لأعذر اللهَ
إذا ما كان عطفٌ منه ، لا الحبُّ ، الذي خلاه يسقيني
كؤوساً من نعيمٍ .

آه ، هاتي الحبَّ ، روّيني
به ، نامي على صدري ، أنيمي
على نهديك ، أوّاها
من الحرق التي رضعتُ فؤادي نَمّةً افترستُ شراييني .
حبّيني

لأنني كل من أحببتُ قبلك لم يحببوني .

باريس ١٩ - ٣ - ١٩٦٣

يقولون تحيا...!

لأحببتُ لو أنَّ في القلبُ بقيا
- وقد لفَّه اللَّيْلُ - للمشرق ،
يقولون « ما زلت تحيا » .. أحييا
كسيحٍ إذا قام أعييا
به الداءُ فأنهار ، لم تخفقِ
على الدَّربِ منه الخطى ؟ يا أساء
ويا بؤس عينيه ممَّا يراه ؟

* *
*

يقولون : « تحيا » فيبكي الفؤادُ
فلو لم يكن خافقاً لاستراح ؛
كطيرٍ رميَّ يجرُّ الجناح

وقد مد ، عبر الربى والوهاد ،
بعينه : في دوحه خلف تلك الظلال
سجا عشه ، فيه زغب -جياع
إذا حجب الغيم ضوء الهلال
يقولون « هذا جناح أبينا وقد عاد بعد الصراع
بزهره ،

بقطره
من الطل .. حتى يُطلّ الصباح .
كطير رمي بجر الجناح ،
أقضي نهاري بغير الأحاديث ، غير المنى ،
وإن عسعس الليل نادى صدى في الرياح :
« أبي .. يا أبي » طاف بي وانتنى ،

« أبي .. يا أبي »
ويجيش في قاع قلبي نواح :
« أبي .. يا أبي » .
« أبي .. يا أبي » في صفير القطار
« أبي .. يا أبي » في صياح الصغار
(خفاف الخطى يعبرون الدروب
بلا غايةٍ ، يقطفون الثمار
ولا يطعمون ابنةً جائعه .
ولي منزل في سهول الجنوب
إذا كنتُ أسعى ، من السابعة
إلى أوبة الطير عند الغروب ،
فكي أطعمَ الجائعين

وراء نوافذه شاخصين
بن الدرب : « أين الأبُ المُطعمُ »
(أبي .. يا أبي » والدجى مظلم
وجيكور خلف الدجى والدروب وخلف البحار .

لندن ٢٣ - ٢ - ١٩٦٣

وَعَدْلُ سَالِقَاهَا

وَعَدَا سَالِقَاهَا ،
سَأَشْدُهَا شَدًّا فَتَهْمِسُ بِي
« رَحْمَاكَ » ثُمَّ تَقُولُ عَيْنَاهَا :
« مَزَّقَ نَهْودِي ، ضَمَّ - أَوْ آهَا -
رَدْفِي ... وَاطْوَى بَرْعَةَ اللَّهَبِ
ظَهْرِي ، كَانَتْ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ
تَسْرِي عَلَيْهِ بِطَيْبِ رِيَّاهَا » .

وَيُوجُّ تَحْتَ يَدِي وَيُرْتَجِفُ
بَيْنَ التَّمْنَعِ وَالرَّضَا رَدْفُ ،
وَتَشِبُّ عِنْدَ مَفَارِقِ الشَّعْرِ
نَارٌ تَدْعُو غُهَا : هُوَ السَّعْفُ

من قريتي رعشتُ لدى النَّهرِ
خوصاته ؛ وتلين لا تدري
أَيَّان تنقذُ .
ويهمُّ ثغري وهو منخطفُ ،
أعْمى تلمسُ دربه ، يقفُ
ويجسُ : نهداها
يتراعيان ؛ جوانب الظَّهرِ
تصطكُ ، سوف تبلُّ بالقطرِ ؛
سأذوب فيها حين ألقاها !

لندن ٢٧ - ٢ - ١٩٦٣

السُّلَّةُ وَوَلَدُهَا

(إلى زوجتي الوفية)

أَوْ صَدِي الْبَابِ ، فَدُنْيَا لَسْتُ فِيهَا
لَيْسَ تَسْتَأْهِلُ مِنْ عَيْنِي نَظْرَهُ .
سَوْفَ تَمْضِينَ وَأَبْقَى .. أَيُّ حَسْرَةٍ ؟
أَتَمْنَى لَكَ أَلَّا تَعْرِفِيهَا ؟
أَهْ لَوْ تَدْرِينَ مَا مَعْنَى ثَوَائِي فِي سَرِيرٍ مِنْ دَمٍ -
مَيِّتَ السَّاقِينَ مَحْمُومِ الْجَبِينِ
تَاكُلُ الظُّلَمَاءَ عَيْنَايَ وَيَحْسُوهَا فِي
تَائِهًا فِي وَاحِدَةٍ خَلْفَ جِدَارٍ مِنْ سَنِينِ
وَأُنِينِ
مَسْتَطَارِ اللَّبِّ بَيْنَ الْأَنْجَمِ .

* *

*

في غدٍ تمضين صفراء اليدِ
لا هوىٍّ أو مغنمٍ ، نحو العراقِ
وتحسّين بأسلاكِ الفراقِ
شائكاتٍ حول سهلٍ أجرد
مدّها ذاك المدى ، ذاك الخليج
والصحارى والروابي والحدود
أي ريشٍ من دموعٍ أو نشيج
سوف يعطينا جناحين نرود
بهما أفق الدجى أو قبة الصبح البهيج للتلاقى ؟
كل ما يربط فيما بيننا محض حنينٍ واشتياقِ
ربما خالطه بعض النفاق !
آه لو كنتِ ، كما كنتُ ، صريحه

لنفضنا من قرار القلب ما يحشو جروحه
ربما أبصرت بعض الحقد ، بعض السأم
خصلةً من شعر أخرى أو بقايا نغم
زرعتها في حياتي شاعره
لست أهواها كما أهواك يا أغلى دمٍ ساقى دمي .
إنها ذكرى ولكنك غيرى ثائره
من حياةٍ عشتها قبل لقانا
وهوى قبل هوانا .
أو صدى الباب . غداً تطويك عني طائره
غير حبٍ سوف يبقى في دمانا .

الكويت ٢١ - ٨ - ١٩٦٤

نُخْشِيَّةُ بَنَاتِ الْجَنِّ

تَعُورُنَا بِلَّلَهَا الْمَطَرُ
وَتُشْعَلُ الْقَمَرُ
فِيهِ فَوَانِيسٌ ، فَيَا قَوَافِلَ الْغَجَرِ
شَعَرْنَا اهْتَدِي ،
سِيرِي إِلَى السَّحَرِ ،
سِيرِي إِلَى الْغَدْرِ ؟

نَحْنُ بَنَاتُ الْجِنِّ لَا نَنَامُ ،
نَنِيْمُ فِي الظَّلَامِ
عَلَى ذُرَى التَّلَالِ أَوْ نَرْكُضُ فِي الْمَقَابِرِ ،
نَعْشُقُ كُلَّ عَابِرٍ ،
نَسْمَعُهُ أَغَانِي الشَّبَابِ وَالْغَرَامِ :
أَنْ نَزَلَتْ صَبِيَّةٌ فِيهَا مِنَ الْبَشَرِ

وأوحشتها وحدة القبور أو دجنة الحفر
سرت أغانينا إليها تعبر التراب
تقول : « إن عريت فالثياب
تنسجها عناكب الشجر
وكل خيط من خيوطها يرن كالوتر .
نامي إلى أن يؤذن القدر
ويحشر الموتى إلى الحساب .
حبيبك الوفي مس ثغره ابتسام ،
فقد رأى سواك .

بل رآك في قوامها الندي كالزهر
وهديها ومقلتيها . أشعل الهيام
في عينه السهر ،

رَاكِ فِيهَا فَاشْتَهَاكِ . لَيْتَهُ انْتَهَرَ ؟ »

* *

*

نُلُوحٌ لِلطُّفْلِ فِرَاشَاتٍ مِنَ الشُّعَاعِ

تَخْفِقُ فِي ذَوَائِبِ الشَّجَرِ ،

وَيُلَمِّحُ الْعَاشِقُ فِي عَيُونِنَا الْوَدَاعِ

إِذَا يَصْفَرُ الْقَطَارُ أَوْ يَصْفِقُ الشَّرَاعُ .

وَنَحْنُ لِلشَّاعِرِ إِنْ شَعَرَ

نُلُوحٌ فِي الدُّخَانِ وَالْعَقَارِ ،

نُنْشِدُ : « فُلُوكُ سَنْدَبَادَ ضَلَّ فِي الْبَحْرِ »

حَتَّى أَتَى جَزِيرَةً يَهْمِسُ فِي شَطَائِنِهَا الْحَارِ ،

يَهْمِسُ عَنْ مَلِكَةٍ يُحِبُّهَا الْقَمَرُ

فلا يغيب عن سماء دارها النُّصار .
فيهتف الشاعر : « خُذْنِي إِلَى حَمَاهَا
لَأَنِّي أَهْوَاهَا
لَأَنِّي الْقَمَرُ ؟ »
وَجَنِّ وَانْتَحِر .

* *
*

شعورنا بَلَلَهَا الْمَطَرُ ،
وِيرشِفُ الْقَمَرُ
مِنْهَا إِلَى أَنْ يُقْبَلَ السَّحَرُ .
نَرْكُضُ فِي الْمَقَابِرِ
نُضِلُّ كُلَّ شَاعِرٍ
وَكُلَّ مَنْ عَبَرَ ؟

لندن ٢٦ - ٢ - ١٩٦٣

جيت گور لئي^(۱)

تسك أمي ، وإن أجثها كسيحا
ذئبا ازهارها والماء فيها ، والترابا
ونفضا ، بمقلتي ، اعشاشها والغابا :

تسك أطيبار الغد الزرقاء والغبراء يعبرن السطوحا
وينشرن في بويب^(۲) الجناحين : كزهر يفتتح الأفوافا .
ه هنا ، عند الضحى ، كان اللقاء
وبانت الشمس على شفاهها تكسر الأطيافا
وتنح الضياء .

نينا أمشي ، أجوب تلك الدروب الخضر فيها وأطرق الأبوابا ؟
عب الماء فتأتيني من الفخار جره
تنح الظل البرود الحلو ... قطره
ه نضره .

تمتدُّ بالجرّة لي يَدان تنشران حول رأسي الأُطيابا :
(هالتي) تلك . ام (وفيقة) ام (إقبال) .

لم يبق لي سوى اسماء

من هوىٍّ مرّ كرعدٍ في سمائي
دون ماء .

كيف أمشي ! خطاي مزقها الداء .. كأني عمود ملح يسير ..
أهي عامورة الغويّة ام سادوم ؟
هيهات .. إنها جيكور :

جنةٌ كان الصَّبى فيها وضاعت حين ضاعا .
آه لو انّ السنين السود قَمَحُ أو صخورُ
فوق ظهري حملتُهنَّ ، لألقيْتُ بِجُملي فنفضتُ جيكورُ
عن شجيراتها تراباً يغشّيها وعانقتُ معز في ملتاعا ،

يُجهش الحبّ ، به ، لحناً فلحنا
ولقاءً فوداعاً .

آه لو أن السنين الخضر عادت ، يوم كُنّا
لم نزل بعدُ فتَيْنٍ لَقَبْتُ ثَلَاثاً أو رُبَاعاً
وجنّتي (هالّة) والشَّعرُ الذي نَشَرَ أمواج الظلامِ
في سيولٍ من العطور التي تحمل نفسي إلى بحارٍ عميقه
ولَقَبْتُ ، برغم الموت ، ثغراً من وفيقه
ولأوصلتُك يا (إقبال) في ليلة رعدٍ ورياح وقتامٍ ،
حاملًا فانوسيَ الخفاق تمتد الظلال
منه أو تقصر ، إذ يرعش في ذاك السكون ،
ذلك الصمتِ سوى قَعْقَعَةِ الرعد ،
سوى خفق الخطى بين التلال

وحفيف الريح في ثوبك ، او وهوة الليل مشى بين الغصون ،
ولعانقتك عند الباب ، ما أقسى الوداع !!
آه .. لكن الصبي ولى وضاع ؛
الصبي والزمان لن يرجعا بعد ،
فقرى يا ذكريات ونامي .

لندن ٥ - ٢ - ١٩٦٣

١ - اذا كان ٣ (فاعلاتن مستعملن فاعلاتن) = ٣ فاعلاتن ٣٠ مستعملن، ٣ فاعلاتن مثلاً
فإن الفرضية التي تقوم هذه القصيدة ، موسيقياً ، عليها صحيحة . أرجو أن تتاح الفرصة لتجربة
هذه الفرضية على جهاز الأصوات الذي سبق للدكتور محمد مندور أن قام ببعض التجارب عليه
في باريس . غير أنني لم ألتزم بذلك إلا في الأجزاء الأولى من القصيدة .
٢ - نهر في جيڪور .

يا غربة الروح

يا غربة الروح في دنيا من الحجرِ
والثلج والقار والفولاذ والضررِ ،
يا غربة الروح .. لا شمسٌ فائتلقُ
فيها ولا أفقُ
يطير فيه خيالي ساعة السحرِ .
نارٌ تضيء الخواء البرد ، تحترقُ
فيها المسافات ، تُدنيني ، بلا سفرِ ،
من نخل جيكور أجني داني الثمرِ .
نارٌ بلا سمرِ
إلا أحاديث من ماضيٍ تندفقُ
كأنهنَّ حفيفٌ منه أخيلةُ
في السَّمْع باقيةٌ تبكي بلا شجرِ .

يا غربة الروح في دنيا من الحجر !

* *

*

مسدودة كل آفاقي بأُبنية
سودٍ ، وكانت سمائي يلهث البَصْرُ
في شطّها مثل طيرٍ هده السَفَرُ :
النهر والشفق
يميل فيه شراعٌ يرجف الألقُ
في خَفْقِهِ ، وهو يحثو ، كلما ارتعشا ،
دنيا فوانيسَ في الشطّين تحترقُ ،
فراشةً بعد أخرى تنشر الغَبْشا
فوق الجناحين .. حتّى يلهث النّظرُ .

* *

*

الحُبُّ كان انْخِطافَ الروحِ نَاجاها
روحٌ سِواها ، له من لَمْسَةٍ بَيدِ
دَخيرَةٍ من كَنوزِ دُونِما عَدَدِ .
الحُبُّ لَيس انْسِحاقاً في رُحى الجَسَدِ
ولا عِشاءٌ وُخْراً من حُيّاها
تَلتَفُ ساقٌ بِساقٍ وَهي خادِرةٌ
تَحْتَ المِوائِدِ تُخْفِي نَشوَةَ البَشَرِ
عَنِ نَشوَةِ اللهِ مِنْ هَمْسٍ وَمِنْ سَمَرِ
فِي خَيمَةِ القَمَرِ .
يا غَربَةَ الروحِ لا روحٌ فَتَهاها .

* *

*

لولا الخيالات من ماضي تنسربُ
كأنها النوم مغسولاً به التعبُ
لم يترك الضجرُ
مني ابتساماً لزوجٍ سوف ألقاها
ان عدتُ من غربة المنفى : هو السحرُ
والحلم كالطلُّ مبتلاً به الزهرُ
يمس جفنين من نورٍ وينسكبُ
في الروح أفرحها حيناً وأشجاها .
تسللت طرقتي للباب تقتربُ
من و عيها وهو يغفو ثم تنسحبُ ،
ونشر الحلم أستاراً فاخفاها .
ورف جفناها

حتى كأنَّ يدي
إذ تطرق الباب مسَّتْ منهما : « واها !
من دقَّ بابي ؟ أهذا أنت يا كبدي ؟ »
وذاب في قبلي ما خلف السَّهرُ
في عينيها من نَعاس ، فهي تزدهر
كوردةٍ فتحت للفجر عيناها .

لندن ٢٦ - ٢ - ١٩٦٣

أشربُ الكَلْبُومَ وَالزُّكْرَى

وأشربُ صَوْتَهَا .. فيغوص من روعي إلى القاعِ
ويُشعل بين أضلاعي
غناءً من لسان النار ، يهتف « سوف أنساها
وأنسى نكبتني بجفائها وتذوب أوجاعي » .
وأشرب صوتها .. فكان ماء بُيُوبَ يسقيني
وأسمع من وراء كُرومه ورباه « ها .. ها .. ها »
ترددها الصبايا السمرُ من حينٍ إلى حين .
وأشربُ صوتها فكان زورقَ زَقَّةٍ وأنينَ مزمارةٍ
تجاوبه الدرابكُ ، يعبران الروح في شَفَقٍ من النار
يلوح عليه ظلٌ وفيقةُ الفرعاء أسودَ يزفر الآها
سحائبَ من عطورٍ ، من لحونٍ دون أوتار .
وأشرب صوتها .. فيظل يرسم في خيالي صفَّ أشجارٍ

أغازل تحتها عذراء ؛ أوّاها
 على أيامي الخضراء بعثرها وواراها
 زواج . ليت لحن العرس كان غناء حفار
 وقرعاً للمعاول وهي تحفر قبوري المركوم منه القاع بالطين .
 وأذكرها ، وكيف (وجسمها أبقى على جسمي
 عبيراً منه ، دفناً غلّف الأضلاع) أنساها ؟
 أنساها ؟ أنسى ضحكة رعشت على لحمي
 وأعصابي ، وكفّاً مسحت وجهي بريّاها ؟
 قساة كل من لاقيت : لا زوج ولا ولد
 ولا خل ولا أب أو أخ فيزيل من همّي ..
 ولكن .. ما تبقى بعد من عمري ؟ - وما الأبد ..
 بعمرى -
 أشهر ويرمحيني موت فأنساها .

لندن ٩ - ٣ - ١٩٦٣

كيف لم أحبك ؟

كيف ضيَّعتُك في زحمة أيامي الطويلة ؟
لم أحلَّ الثوبَ عن نهديكِ في ليلة صيفٍ مُقْمَره ؟ !
— يا عير التوت من طوقيهما .. مرَّغت وجهي في حميله
من شذى العذراء في نهديك —

ضيَّعتُك ، آهٍ يا جميله !

انه ذنبي الذي لن أغفره !
كيف لم أحبك ؟! يا لهفة ما بعد الأوان
في فؤادٍ لم تكوني فيه إلاَّ جذوةً في بجمره !
شعرك الأشقر شعَّ اليوم شمساً في جناني
يتراءى تحتها ساقاك ، يا للزنبق
رفٍّ من ساقيك !!
آهٍ كيف ضيَّعتُك يا سرحةً خوَّخَ مُزهره ؟

آه لو عندي بساط الريح !!
لو عندي الحصان الطائر !!
آه لو رجلاي كالامس تطيقان المسيرا !
لطويت الأرض بجثأ عنك .
لكن الجسورا
قطعتها بيننا الأقدار . مات الشاعر
في وانسدّت كوى الأحلام .

آه يا جميله !

البصرة ٨ - ١١ - ٦٣

السير القراصنة

أجنحةٌ في دوحةٍ تخفقُ
أجنحةٌ أربعةٌ تخفقُ
وأنتَ لا حبٌ ولا دارُ ،
يسلمك المشرقُ
إلى مغيبٍ ماتت النارُ
في ظلّه ... والدرب دوارُ
أبوابه صامتهٌ تغلقُ !

جيكور في عينيك أنوار
خافقةٌ تهمس :
« مات الصبي ! »
لم تبق آثارُ

من فجره ، وانفرط المجلس ،
فالتل لا ساق ولا سامر باقٍ وسمارُ :
واراهم في سفحه الموحش المهجور حفار !

وتحسدُ الشحاذ إن لاحا
يمشي على عكازه البالي .
مشلولةٌ رجلاك مشدودةٌ عيناك بالآلِ
وألف دربٍ دونك أنداحا
يدعوك أن تقطعه في الدجى
وتقطف الأثمار عن جانبيه
وأنت لا تملك غير الشجى
ودمعةٍ تجري اشتياقاً إليه .

عامان من نزعٍ بلا موتٍ
وأنت ما كنتِ سوى صوتٍ ،
صوتٍ يدويٍّ في قلاعِ الرياحِ .
يا ليتك المشاء في صمتٍ
لا عازف القيثارة باسم الجراح ؟
وأنت في سفينة القرصانِ
عبدٌ أسيرٌ دون أصفادٍ
تقبع في خوفٍ وإخلاقٍ
تُصغي إلى صوت الوغى والطعان :
سال الدم ،
اندقت رقابٌ ومال
ربّانها العملاقُ

وقام ثانٍ بعده ثم زال
فامتدت الأُغناق
لايَّ قرصانٍ سيأتي سواه
وأَيَّ قرصانٍ ستعلو يداه
حيناً على الأيدي ! ؟

« وليأتِ من بعدي ...
من بعدي الطوفان »
تسمعُها تأتيك من بُعد
يحملها الإعصار عبْرَ الزّمان !

البصرة ٢٩ - ١٠ - ١٩٦٣

نَسِيمٌ مِنَ الْقَبْرِ..

نسيمُ اللَّيْلِ كالآهات من جيِّكُورَ يأتيني
فبيكيّني

بما نفثتهُ أُمِّي فيه من وُجدٍ وأشواقِ
تنفّسَ قَبْرُها المهجور عنها ، قَبْرُها الباقي
على الأيّام يهمس بي : « ترابٌ في شراييني
ودودٌ حيث كان دمي ، وأعراقي
هباءٌ من خيوطِ العنكبوت ؛ وأدمعُ الموتى
إذا ادّكروا خطايا في ظلام الموت ... ترويني .
مضى أبديٌّ وما لمحتك عيني ! »

- ليت لي صوتاً

كنفخِ الصُّور يسمع وقعَه الموتى . هو المرضُ
تفكّك منه جسمي وانخنت ساقِي

فما أمشي ، ولم أهجركِ . إني أعشق الموت
لأنك منه بعض ؛ أنت ماضي الذي يمض
إذا ما اربدت الآفاق في يومي فيهديني !

* *

*

أما رنّ الصدى في قبركِ المنهار ، من دهليز مستشفى ،
صداي ، أصبح من غيبوبة التخدير ، أنتفض
على ومض المشارط حين سفت من دمي سفا
ومن لحمي ؟ أما رنّ الصدى في قبركِ المنهار ؟
وكم ناديت في أيام سُهدي أو ليااليه :
« أيا أمي ، تعالي فالمني ساقى واشفيني » .
يئن الثلج والغربان تنعب من طوى فيه ،

وبين سريري المبتل حتى القاع بالأمطار
وقبرك ، تهدر الأنهار
وتصطخب البحار الى القرار يخضها الأعمار .

* *

*

اما حملت إليك الريح عَبرَ سَكِينَةِ اللَّيْلِ
بكاء حفيدتيكِ من الطوى وحفيدكِ الجوعان ؟
لقد جعنا وفي صمتٍ حملنا الجوعَ والحِرمان ،
ويهتك سرنا الأطفال ينتحبون من ويل .
أفي الوطن الذي آواكِ جوع ؟ أيا أحزان
تورق أعين الأموات ؟
لا ظلم ولا جور

عيونهما زجاجٌ للنوافذ يُخنقُ الألوان .
هناك لكل ميتٍ منزلٌ بالصمتِ مستورٌ ،
ولكنّا هنا عصفت بنا الأقدارُ من ظلٍ
إلى ظلٍ ومن شمسٍ إلى شمسٍ : يغيب النورُ
على شرفات بيتٍ ضاحكاتٍ ثم يشرق وهي أطلالُ
ويخفقُ حيث كر كر أمسٍ أطفالُ
صريرٌ للجنّادب هامساتٍ : « إنه المقدور
تصدع برج بابل منه وانهدمت صخور السور ! »

* *

*

أما حملتُ إليكِ الريحُ عَبْرَ سَكِينَةِ اللَّيْلِ
بكاءَ حفيدتيكِ من الطوى يعلو من السَّهْلِ ؟

البصرة ١٨ - ٤ - ١٩٦٣

فِي الْمَسْتَسْقَى

كَمَسْتُ وَحْدِي أَعْزَلَ فِي الشِّتَاءِ
وَقَدْ أَوْغَلَ اللَّيْلُ فِي نَصْفِهِ ،
أَفَاقَ فَأَوْقَطَ عَيْنَ الضِّيَاءِ
وَقَدْ خَافَ مِنْ حَتْفِهِ ،
أَفَاقَ عَلَى ضَرْبَةٍ فِي الْجِدَارِ -
هُوَ الْمَوْتُ جَاءَ !
وَأَصْغَى : أَذَاكَ انْهِيَارَ الْحِجَارِ
أَمْ الْمَوْتُ يَحْسُو كُؤُوسَ الْهَوَاءِ ؟
لِصُوصٍ يَشْقُونَ دَرْبًا إِلَيْهِ
مَضُوا يَنْقُبُونَ الْجِدَارَ .
وَوَظِلَّ يَعِدُّ انْهِيَارَ التُّرَابِ
وَوَقَعَ الْفُؤُوسُ عَلَى مَسْمَعِيهِ .

يكاد يُحسُّ التماعَ الحِراب
وحزَّاتها فيه ... يا للعذاب !
وما عنده غير محض انتظار :
هو الموت عَبْرَ الجدار !

* *
*

كذاك انكفأتُ أعضُّ الوسادُ
وأسلمتُ للمشروط القارسِ
قفاي المدمى بلا حارس .
- بغير اختياري ، طبيبي أراد ! -
لقد قصَّ .. مدَّ المجسَّ الطويل ...
لقد جرَّه الآن . أوَّاه .. عاد .

ولا شيءَ غيرُ انتظارٍ ثقيلٍ .
ألا فاخرقوا ، يا لصوص ، الجدار
فهيئات ، هيئات ، مالي فرار !

لندن ٥ - ٢ - ٦٣

سِلْوِي

ظلامُ الليلِ أوتارُ
يدُ نَدْنِ صوتِكَ الوَسنانِ فيها وهي ترتجفُ ،
يرجعُ هَمْسَهَا السَّعَفُ
وترتعثُ النجومُ على صَداهُ : يرنُ قِيثارُ
بأعماقِ السماء . ظلامُ هذا الليلِ أوتارُ !

*

وكمْ عبرَ الخَلِيجَ إِلَيَّ وَالْأَنْهَارَ وَالْثَّرَعَا ،
يدُ غَدَغٍ بِيضِ أَشْرَعَةٍ يَهيمُ وراءَها الْقَمَرُ
وينشجُ بينها المطرُ ؛
وأوغلَ في شَبابِ البرقِ ، يرجفُ كَلِّمَا لَمَعَا
ليحملَ من قَرَارَةِ قَلْبِكَ الْآلَامَ وَالْفَزَعَا .

*

أشْمُ عَيْرَكِ اللَّيْلِ فِي نَبْرَاتِكَ الْكَسْلَى
يَنَادِينِي وَيَدْعُونِي
إِلَى نَهْدَيْنِ يَرْتَعْشَانِ تَحْتَ يَدَيَّ وَقَدْ حَلَا
عُرَى الْأَزْرَارِ مِنْ ذَاكَ الْقَمِيصِ ، وَيَمْلَأُ اللَّيْلَا
مِشَاعِلَ فِي زَوَارِقَ ، فِي عِرَائِشَ ، فِي بَسَاتِينِ .

*

شَدَى اللَّيْمُونَ يَصْرَعُ كُلُّ ظِلٍّ فِي دَوَالِيهَا .
أَرَاكِ عَلَى السَّرِيرِ وَأَنْتِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرِ :
يَكَادُ النِّجْمُ فِي الشَّبَّاءِ وَالْمَصْبَاحُ فِي الْخَيْدِ .
يَمْسُهَا النِّعَاسُ ، وَأَنْتِ زَنْبَقَةُ حَوَاشِيهَا
يَنْبُهَا هَتَافُ الدِّيَكِ يَعْبُرُ ضَفَّةَ النِّهْرِ .

*

ويهمس بي صدى : « سلوى
 تغني » . كلُّ سلوى في خيالي تكشف الأضواء عنها وهي تبتسم :
 صديقة كلِّ فحلٍّ من سدوم ، في يدٍ قَلَمٌ
 يسطرُّ في الجريدة أنها تهوى ولا تهوى ،
 هي امرأتان في امرأة ... ويسرب في دمي ضرمٌ

*

وجارُتنا الصبيّةُ في حريرِ النَّوْمِ تنسربُ ،
 يشف الثَّوبُ عن نهدين طوديين كم رجفا
 من الأحلام تحت يدٍ تعصر بردها لَهَبُ .
 لها من فورة العذراء عطرٌ يرتخي ، يشبُّ ،
 يمازج نفحَ ما نفحَ الحشيش ، يسيل مرتجفا .

*

والمحُ في سماء الصيف عَبْرَ تماوجِ الشجرِ
سماوةً لندنَ المنهلِ فيها الثلجُ كالطر ،
ونافذةً تعلّق في الظلام زجاجها الأليقُ ،
ومدفاةً وراء الليل تحترقُ ،
وأسمع من يحدث عن هوى سلوى ويرقبُ طلعةَ السحرِ :

*

« وأشعلتِ الظهيرةُ نارها في الشارع الممتدِّ بين حدائق النارنج والعنَبِ
وأصدتُ في رحاب المنزل الخالي
خطى سلوى ، وأرخيتُ الستائر ... يا لشلالٍ
من الألوان والخدَر البرود .
ومسّها لهبي

فارُعشَ كلَّ عَرُقٍ في صِباها ، كلَّ ما عَصَبَ

* *

*

ويزرع ألفَ غابٍ للنخيلِ غناؤكِ المكسالُ
ترقرقتِ الجداولُ بينهنَّ وأزهرَ اللَّيْمونُ ...
وأنسامُ الربيعِ تمرُ تنثرُ زَهْرَهُ في مائها السُّلسالُ
كما حَمَلَ الوجوهَ إلى ماءِ غنائكِ المكسالُ
ويحملني النعاسُ إلى جزائرَ في مدىَّ محزون !

البصرة ٩ - ٩ - ١٩٦٣

سَمِي نَلَسَقِي ؟

أَلَا يَا كُلُّ الرُّعْبِ مَنَا الضُّلُوعُ
إِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَى ظِلِّ تَيْنِهِ ،
فَلَا حَتُّ لَنَا ، مِنْ ظِلَامٍ ، قُلُوعِ
تَهْدُهُهَا غُغْمَاتُ حَزِينِهِ ؟
أَلَا يَا كُلُّ الرُّعْبِ مَنَا الضُّلُوعُ ؟
أَلَا تَتَحَجَّرُ مَنَا الْعَيُونُ
إِذَا لَاحَ فِي اللَّيْلِ ظِلُّ الْبُيُوتِ
هَزِيلًا كَمَا يَنْسُجُ الْعَنْكَبُوتِ
أَلَا تَتَحَجَّرُ مَنَا الْعَيُونُ
وَيَلْمَعُ فِيهَا بَرِيقُ الْجُنُونِ ؟
وَبِالْأَمْسِ كُنَّا يُذِيبُ الْعُنَاقُ

دماً في دمٍ ،
كنورٍ ونارٍ ، سناً واحتراق
يجولان في منزلٍ مظلم

ولكنَّ ما بيننا كان بحرٌ
تغنيك أمواجه العاتية:
« سرعاك من قلعةٍ شدةٍ منها حديد وصخرُ
فما الحب هدم لجدرانكِ العاليه » .
ولكنَّ ما بيننا كان بحرٌ

وصحراء تنشجُ فيها النجومُ
ولا نلتقي في دجىٍّ أو صباحٍ ،

تموت على رملها عاصفاتُ الرياح
وتأكل عَيْنَ الدليلِ التَّخومَ
وصحراءُ تنشجُ فيها النجوم

وطارتُ بي الريحُ عبْرَ البحارِ
إلى الليلِ والثلجِ والمجهْلِ ،
فصرنا إلى واقعٍ لا نَحارُ
بالغازه . فاسألني :

– وطارت بي الريحُ عبْرَ البحارِ –
« أما من لقاءٍ لنا في الزمان ؟ »
بلى .. حينما تفهمين اللُّقاء

فياوي إلى اللّوْحَةِ المُفْرَقانِ
يشدّ أنّها ، يرفعان الدعاء :
« ألا نَجِّنَا يَا إِلَهَ السَّماءِ ! »

ألا يأكل الرعبُ مِنّا الضلوع
إذا ما نظرنا إلى ظلِّ تينهِ
فلاحت لنا ، من ظلام ، قلوب
تهدهدها غمغاتُ حزينهِ ؟
ألا يأكل الرعبُ مِنّا الضلوع ؟

لندن ١٠ - ٣ - ١٩٦٣

فهرست

صفحة	معد	
٦٤	٥	شناشيل ابنة حبي
٦٨		إرام ذات عمه
٧٠	١٩	في اللبر
٧٣	٢٥	في انتظار رسة
٧٧	٢٦	الباب تفرعه روح
٨١		من ليقى السهاد
٨٦	٣١	١ - بية في سنا
٨٨	٣٥	٢ - نية في مريس
٩٠	٣٩	٣ - لبة في نعران
٩٤	٤١	خلا نيت
٩٨	٤١	جيكور ونحدر بية
١٠١	٤٥	ها... ها... هره
١٠٦	٤٥	أحبتي

